حال الجهاد

مقدم المحاضرة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المجاهدين وقائد الغر المحجلين محمد بن عبد الله صلوات الله عليه، وبعد:

إنها لليلة مباركة نجتمع فيها على مدارسة كتاب الله وسنة نبيه محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، وأفضل مدارسة يتدارسها المسلمون اليوم هي ما يعيشه المسلمون في واقعهم وما يلمسونه يومًا تلو يوم والمسلمون في جميع أنحاء العالم يعيشون القهر والإذلال سنينًا طويلة.

وما إن أتى الفجر وبدأ شعاعه يبزغ إلا وانهالت المؤامرات تحاك ضد هذا الإسلام.

بدأ بصيص النور يظهر من هناك، من جبال الهندكوش، من أرض الجهاد، من أرض خراسان المسلمة، من أفغانستان بدأ بصيص النور يظهر من هناك، ونسأل الله عز وجل أن يشع على الأمة بأكملها.

حول هذه المؤامرات، وحول هذا الجهاد العظيم يتفضل الأخ أسامة بن محمد بن لادن أحد الإخوة المجاهدين في سبيل الله في أرض أفغانستان المسلمة –نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحدًا– يتفضل مشكورًا مأجورًا في تبيين الوضع الحالي للجهاد في أفغانستان وما يمر به المجاهدون، فليتفضل مشكورًا مأجورًا جزاه الله عنا خير الجزاء.

الشيخ أسامة بن لادن:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

الحمد لله الذي رفع مكانة الجهاد ورفعه وسماه بـ"ذروة سنام هذا الدين" فله الحمد والمنة سبحانه وتعالى، ومدح الجهاد وأهله حتى إن الناظر المتأمل في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ وفي مواقف السلف والصحابة –

رضي الله عنهم– ليقف مشدوهًا أمام حشد هائل من الآيات والأحاديث التي ترغّب في الجهاد وتحضّ عليه، وكذلك التي تتوعد المثبطين عن الجهاد والقاعدين فنرجو الله سبحانه وتعالى أن نكون من المجاهدين.

والحمد لله القائل: {فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}.

والحمد لله الذي رفع مكانة هذا الجهاد وذكره في القرآن الكريم بأحسن الصفات القرآنية وأجمل النعوت الإيمانية فقال في المجاهدين مبشرًا لهم:

بأنهم الصادقون، وأنهم المؤمنون حقًا، وأنهم لهم المغفرة والرزق الكريم، وأنهم المحسنون، وأنهم الفائزون، وأن لهم الخيرات، وأنهم المفلحون، وأنهم الخالدون في جنات النعيم، وأنهم المبشرون برحمة الله ورضوانه، وهم أهل الفضل، وأنهم المتقون، وأثبت لهم محبته سبحانه وتعالى في القرآن الكريم فهنيئًا لهم، وأنهم الناجون من العذاب الأليم، وأنه لن يضل أعمالهم وسيهديهم ويصلح بالهم، ويدخلهم الجنة عرفها لهم.

فهنيئًا لهم، هنيئًا لهم، وطوبى لهم، اللهم اجعلنا من المجاهدين يا أرحم الراحمين.

ويقول سبحانه مثبتًا لهم هذه الصفات العظيمة في القرآن العظيم بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم –مثبتًا صفة الإيمان الحق وأعظم بها من صفة فالإيمان الحق هو الركن الأول في هذا الدين– يقول سبحانه: {وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ}، أثبت صفة الإيمان الحق للمجاهدين والمهاجرين في سبيل الله.

وكذلك يقول سبحانه مثبتًا لهم الخيرات ومثبتًا لهم صفة الفلاح مستثنيًا خير الناس ﷺ بعد أن ذم المنافقين القاعدين عن الجهاد، قال سبحانه: {رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَفْقَهُونَ}، {لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ جَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}.

شهادة من رب العالمين بأن المجاهدين هم المفلحون وأن لهم الخيرات.

ويقول سبحانه تكملة في الآية التي تليها: {أَعَدَّ اللّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}.

ويقول سبحانه مثبتًا صفة الصدق للمجاهدين، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ}، فهنيئًا لهم.

ويثبت محبته سبحانه وتعالى لهم فيقول في سورة الصف: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ}.

ويثبت رضاه لهم ورضاه عنهم سبحانه وتعالى حيث يقول: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ}.

فهذا غيض من فيض من الآيات التي نزلت في مدح المجاهدين.

ويبشرهم سبحانه: {يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ}.

وكذلك ما ورد في سنة رسول الله ﷺ في الأحاديث الصحيحة، فمما ورد في ذلك قوله ﷺ -اسمعوا إلى هذا الحديث- يقول ﷺ: "مقام الرجل في الصف خير من عبادة ستين سنة"، حديث صحيح عن رسول الله ﷺ، وورد بعدة روايات منها: "قيام ساعة في الصف خير من عبادة ستين سنة"، "ساعة في الصف خير من عبادة ستين سنة".

فالحمد لله على ما منّ به علينا من هذا الفضل العظيم.

يقول ﷺ في الحديث الذي يرويه أبو بكر بن أبي موسى الأشعري، يقول كنا بحضرة العدو فقال أبي سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف"، فقام رجل رثّ الهيئة، فقال: "يا أبا موسى أأنت سمعت ذلك من رسول الله ﷺ؟" قال: "نعم"، فذهب وقرأ على قومه السلام وكسر جفن سيفه، وذهب يقاتل حتى قتل.

فقد كان العلماء وعلى رأسهم إمام المحدثين أبو هريرة -رضي الله عنه- في وسط الصفوف يحضرون مع المجاهدين يحرضونهم على القتال ويعلمونهم أمور دينهم.

وكذلك قال عليه الصلاة والسلام لرجل حرس المسلمين ليلة كاملة من أولها إلى الصباح ما نزل من على ظهر فرسه إلا لصلاة أو قضاء حاجة، قال له ﷺ - لحرس ليلةٍ واحدة فقط-: "قد أوجبت فما عليك ألا تعمل بعدها"، ﷺ.

وقال عليه الصلاة والسلام في الحديث الحسن: "إن السيف محّاء الخطايا"، نرجو الله أن يمحو ذنوبنا وخطايانا.

وقال عليه الصلاة والسلام -اسمعوا يا إخواني لهذا الحديث- حديث صحيح رواه الإمام مسلم: "والذي نفس محمد بيده لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله". وهو الصادق المصدوق والذي لا ينطق عن الهوى يقسم ﷺ أنه ما كان ليقعد خلاف سرية تغزو في سبيل الله.

أين هذه الروح التي تتشوق إلى الجهاد كما يتشوق ﷺ؟

وهذه أحاديث صحيحة، فما الذين أصابنا حتى اثّاقلنا ولم نعد نجد هذه الروح التي كانت تسري في رسول الله ﷺ وفي صحابته وهي الشوق إلى الجهاد.

ويكفي أن تعرفوا أجر الشهيد وما يجده في الدنيا أنه لا أحد يتمنى الرجوع إلى الدنيا إلا الشهيد لما يجد من الكرامة.

فلماذا لم نأخذ مواقعنا إلى الآن بين خنادق الجهاد والمجاهدين رغم هذا الفضل العظيم؟

لماذا لا نقتدي برسول الله ﷺ؟

لماذا لم نجد هذا الحنين إلى الجهاد في خيار هذه الأمة؟

لَمَ لَمْ نجده في أبنائنا؟

ولَمَ لَمْ نجده في علمائنا؟

لماذا كل هذا البعد عن الجهاد، عن ذروة سنام الإسلام؟

لما هذا الإهمال لأمر الله، لآيات الجهاد وأحاديث الجهاد؟

ويقول الله سبحانه وتعالى كما ذكرت لكم: {فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}.

هذا خطاب موجه للمؤمنين، فلما يا إخوتي لا نجد هذه الروح تسري فينا؟

وإليكم موجزًا مختصرًا من مواقف الصحابة –رضي الله عنهم– نذكر أهمية الجهاد:

فرسول الله ﷺ مكث عشر سنين في المدينة بعد أن أذن الله بالقتال وقد خرج في سبع وعشرين غزوة، وما يقارب ستين سرية.

أي أنه في العشر سنوات كان هناك من مدينة رسول الله ﷺ، في كل بضع وأربعين يومًا إما غزوة وإما سرية، عشر سنين والمسلمون في جهاد دائم بل أشد من ذلك؛ فالخلافة الراشدة التي أخبرنا عنها رسول الله ﷺ من أولها إلى آخرها جهاد دائم.

هذا رسول الله ﷺ وهو على فراش الموت يخرج عاصبًا رأسه ينبه المسلمين إلى أهمية الجهاد: "أنفذوا بعث أسامة أنفذوا بعث أسامة".

فالجهاد جزء أصيل من هذا الدين ملازم لحياة الأمة الإسلامية في جميع أطوار حياتها منذ شرع الجهاد، ليس حالة طارئة.

ولا أدل من أن أسرد لكم أحداث الخلافة الراشدة، ثم هذا أبو بكر –رضي الله عنه– يوم أن استلم الخلافة ارتدت الجزيرة، فلما ارتدت عزم أنه ليجاهدن الناس، ليجاهدنهم حتى ترجع إلى ظل الإسلام، فأرسل الخيل في إثر الخيل والجنود في إثر الجنود، والألوية حتى أعاد الجزيرة بأكملها إلى الإسلام.

وماذا بعد ذلك؟

جمع صحابة رسول الله ﷺ، جمع المبشرين بالجنة وأخبرهم على عزمه أنه يريد أن يغزو الروم وهم في ديارهم، فاسمعوا إلى خير صحابة رسول الله ﷺ وإلى السلف الصالح الذي نقتدي به، فقال عمر: يا خليفة رسول الله ما تسابقنا إلى خير قط إلا وسبقتني إليه، أصبت أصاب الله بك سبيل الرشاد، فوالله إني قد عزمت على هذا الأمر وجئت لأخبرك به.

الله أكبر، خير الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر وعمر يتسابقون إلى الجهاد، ويعزمون على قتال الكفار كما أمرهم الله سبحانه وتعالى.

فإن لم نقتدِ بهؤلاء فبمن نقتدي؟

ثم بعد ذلك خلافة أبي بكر –رضي الله عنه– من أولها إلى آخرها وجنود الإسلام في الغزو في القتال سبيل الله، إلى أن جاءه الأجل وهو على فراش الموت قال: "علي بعمر"، فلما جاء عمر قال: "اسمع يا عمر ما أقول لك ثم اعمل به، إني لأرجو أن أموت من ليلتي هذه من يومي هذا فإذا مت فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى".

أمة جهاد..

ثم يستلم الخلافة عمر –رضي الله عنه– ويبقى في خلافة المسلمين أميرًا للمؤمنين ما يقارب اثني عشر سنة من أولها إلى آخرها تلك الخلافة الراشدة الذين نحن لهم تبع، كانت جيوش الإسلام في بلاد الشام وفي بلاد العراق تدخل الناس في دين الله أفواجًا يعرضون عليهم الإسلام فإن أبوا فالجزية، فإن أبوا فالسيف كما حصل في بلاد الشام.

فهذه هي الخلافة الراشدة التي ينبغي أن نتبعها لأمر رسول الله ﷺ.

اثنا عشر سنة، لم يكن لعمر هم أكبر من أن يخرج خارج المدينة يتلقى الركبان يسألهم عن أخبار الجهاد وعن أخبار الجيوش الإسلامية في بلاد الشام وفارس.

هذا سلفنا الصالح إن كنتم صادقين في الاتباع والاقتداء، من أول يوم أنزل فيه قول الله سبحانه وتعالى {فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ}، إلى أن التحق جميع الخلفاء الراشدين بالله سبحانه وتعالى والأمة في جهاد متواصل.

فعوا جيدًا كيف كانت سيرة السلف الصالح رضي الله عنهم.

وبعد ذلك في خلافة أبي بكر وفي خلافة عمر أرسل إلى الناس أبو بكر -رضي الله عنه- إلى أهل اليمن يستنصرهم للجهاد، ومما جاء في خطابه بعد أن حرضهم على الجهاد: "واعلموا أن الله لم يرض لكم القول بغير عمل".

وأما عمر لما بلغه —رضي الله عنه— أن الفرس قد اجتمعوا على يزدجرد واتحدت كلمتهم، قال: "والله لأضربن ملوك الفرس بملوك العرب -فانتبهوا إلى فعله- فأرسل إلى جميع عماله في الجزيرة، خاطبهم ألا تدعوا أحدًا في ربيعة ومضر، ولا من حلفائهم ممن كان ذا رأي أو فارسًا أو شاعرًا أو خطيبًا أو ذا نجدة أو ذا شرف وبسطة إلا أرسلتموه طوعًا أو كرهًا".

فقتال الروم والفرس ليس بالهزل، هكذا تعلمنا من خلفائنا الراشدين —رضي الله عنهم— وإنما أريد أن أُؤكد لكم أن هذه الأمة أمة جهاد، وأن الجهاد جزء أصيل من هذا الدين ملازم لحياة هذه الأمة في جميع أطوار حياتها، ولا أدل مما ذكرت لكم، وهو غيض من فيض وقليل من كثير فارجعوا عباد الله إلى دين الله واتبعوا سنة رسول الله ﷺ.

وقد يطول بنا الحديث لأهمية الموضوع وسنذكر أحوال الجهاد في هذا العصر الحاضر وما يخطط له الكفار ولكن سنصبر إن شاء الله حتى ننهي موضوعنا.

وأذكر لكم شوق صحابة رسولنا ﷺ للجهاد، نماذج مختصرة، وإلا فالسيرة ملأى بحوادثهم رضي الله عنهم، في الحديث الصحيح في البخاري ومسلم وهذه رواية مسلم، يروي الحديث أنس بن مالك يقول: "غاب عمي أنس بن النضر عن أول قتال قاتل فيه رسول الله ﷺ الكفار -انتبهوا لما بعد هذا-فشق عليه ذلك" تأثر كيف لم يقاتل أعداء الله وكيف لم يذد عن هذا الدين، "فشق عليه ذلك"، فالمهم مما في الحديث يقول سعد بن معاذ في الحديث: فرأى أنس بن النضر سعد بن معاذ، فقال: إلى أين يا سعد بن معاذ؟ الجنة ورب الكعبة أو الجنة ورب النضر إني لأجد ريحها من دون أحد.

فالجنة التي وعدنا الله سبحانه وتعالى، منّ على هذا المجاهد الصحابي -رضي الله تعالى عنه- أن يشممه رائحتها هنا في المدينة دون أحد.

وفي رواية أخرى: "واهًا لريح الجنة، إني لأجدها من دون أحد"، أويجد الريح رضي الله عنه!

فهكذا كان صحابة الرسول ﷺ، يتطلعون إلى الجنة ويشق عليهم ألا يجاهدوا في سبيل الله.

وكما مر معنا الحديث: "لولا أن أشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله"، أي أنه ﷺ كاد أن يقضي معظم سنوات المدينة في الجهاد، ثم يكمل الحديث ﷺ مقسمًا: "والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقل، ثم أغزو فأقتل". يود ﷺ أن يقتل في سبيل الله، أي أن يكون شهيدًا، وهو من هو ﷺ صاحب الشفاعة العظمى والذي غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ومع هذا يتمنى أن يقتل في سبيل الله!

ليعلمنا أهمية الجهاد، وأهمية الشهادة في سبيل الله، وهو الذي بقتله ينقطع الوحي من السماء عن الأرض ومع هذا يتمنى أن يقتل شهيدًا، وكفى المجاهد فضلًا وذخرًا عند الله سبحانه وتعالى هذا الحديث الذي ذكره رسول الله ﷺ، أنه تمنى الشهادة، وأنه ﷺ المفتدى بأمهاتنا وآبائنا يفتدي المجاهد بنفسه وبأمه وأبيه، هو المفتدى ﷺ، لعظيم مكانة المجاهد يفتديه بأمه وأبيه، كما صح عنه في الحديث الذي عن عائشة بنت سعد، وفي عدة روايات يقول لسعد –رضي الله عنه– يوم أحد عندما حمي الوطيس: "ارم سعد فداك أبي وأمي"، فداك أبي وأمي يا رسول الله، يفتدي المجاهدين في سبيل الله كما افتدى الزبير بن العوام في غزوة الأحزاب.

فهذا ديننا، وهذا منهج السلف الصالح، وما كان هذا ليعطل أمور الدين، فمن يدعي أن الجهاد يعطل أمور الدين فقد افترى على الله فرية عظيمة، وقد افترى على الخلفاء الراشدين، وجاء بشيء منكر مبتدع ما أنزل الله به من سلطان.

فانتشر الدين وانتشر العلم وكانت حياة الأمة جهادًا دائمًا، فيها العلم وفيها بناء المساجد وفيها إصلاح الدين والدنيا فأمور الدين لا تتناقض ولا تتعارض، فكما ذكرت لكم كان العلماء من الصحابة –رضي الله عنهم– كأبي هريرة وكعبادة بن الصامت في جيوش المسلمين يعلمون الذين يدخلون في دين الله، يعلمونهم دينهم في أرض الرباط والجهاد وما أجمل أن يجتمع للمسلم جهاد ورباط في سبيل الله وطلب للعلم والخيرات، نرجو الله أن يمنَّ علينا بذلك وأن يحرض علماء هذه الأمة حتى يرفعوا راية الجهاد ونكون لهم تبعًا يعلمون الناس أمور دينهم بإذن الله.

وأقول يا إخوان: من أراد أن يتعرف على حقيقة إيمانه فلينظر هل يجد هذا الشوق الشديد كما وجده صحابة رسول ﷺ، كما شق على أنس بن النضر، وكما أثبت الله سبحانه وتعالى من فوق سبع سموات شوق الصحابة يوم تبوك عندما لم يجد رسول ﷺ ما يحملهم به: {تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ}.

هل تجدون هذا في أنفسكم؟

فإن كنتم تجدونه فاحمدوا الله وسيروا على بركة الله إلى أرض الجهاد.

وإن لم يكن كذلك، فابذلوا جهدكم ونقوا أنفسكم هنا وفي أرض الرباط فإن الله قد قال أنه يمحص الذين آمنوا في الجهاد، قوله سبحانه وتعالى في سياق آيات الجهاد: {وَلِيُمَحِّصَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ}، نرجو الله أن نكون من الذين آمنوا.

وإن كانت الأخرى؛ أننا لا نجد هذه الروح الإسلامية والأخوة الإسلامية وروح الجهاد، فلم نجد في أنفسنا للجهاد مطلبًا ولا عن القعود مهربًا ولا ننصر مسلمًا ولا مستضعفًا فالحال خطيرة جدًا.

ولكن لن أسألكم عن الأعذار فالأعذار كثيرة في واقع عشناه، معظم العالم الإسلامي عاشه وهو متأثر تحت ضعف الاستعمار.

فإن لم نجد ذلك رغم هذه الآيات الواضحة وسيرة السلف الصالح والأحاديث الصحيحة بأن الجهاد جزء ملازم ثم نجد في واقعنا اليوم أننا بعيدون جدًا مع هذا الجهاد والجفاء شديد مع ذروة سنام الإسلام فإليكم الأسباب، وأهم الأسباب، ولن نسأل عن الأعذار لأنه ولا حول ولا قوة إلا بالله قد كثرت وتفنن الناس في استخراجها وهم لا يعلمون أن هذه من أشد الصفات التي وصف الله سبحانه وتعالى بها المنافقين.

فإياكم وأن تتشبهوا بهم، وأرجو الله أن يعيذنا وإياكم من أن نتشبه بهم، فكثرة الأعذار من صفات المنافقين، يقول سبحانه ذامًّا لهم: {وَجَاء الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ}.

المعذرون كثيرو العذر والأعذار، نرجو الله أن لا نكون ممن كذب الله ورسوله.

{وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ} أرجو الله أن لا تصيبكم هذه الآية وأن لا يكون فينا منافق.

فما سبب قعودنا عن الجهاد وتشبهنا ببعض صفات المنافقين؟

أسباب كثيرة ولكن من أهمها:

أن هذا العالم الإسلامي بأجمعه من أقصاه إلى أقصاه، من مشرقه إلى مغربه، استعمر ودخله الغزو الفكري، بل إن هذا العالم الإسلامي بأجمعه لم ينجُ من الاستعمار المباشر بأجمعه إلا شمال اليمن وبلاد الحرمين فمكث الاستعمار في كثير من بلاد المسلمين خمسين سنة وبعضها مائة سنة بل بعضها قرنين من الزمان، فبذل جهده على أن يُخمد المقاومة المسلحة وهي عند المسلمين تسمى بالجهاد فبذل جهده في هذا.

بل يحدثني من أثق به من مشايخ المسلمين الذين كانوا في شمال أفريقيا، يقول: كان الفرنسيون يستأجرون من أبناء جلدتنا من المنافقين من يقف بيننا في المساجد، فإذا أردنا أن نحدث أو نفقه الناس في كتاب الجهاد

في الفقه منعونا حتى أصبح ذلك عادة عندنا، إذا وصلنا عند كتاب الجهاد في الفقه أو في الحديث أن نقفز عنه ولا ندرسه للناس.

فنشأ في هذا الجو أجيال بعيدة عن الجهاد لم تر نماذج حية أمامها تجاهد في سبيل الله بل وجدوا الخنوع وما يخفاكم كيف يكون حال الاستعمار، والحمد لله الذي سلم هذه البلاد وشمال اليمن من الاستعمار، تنشأ أجيال في خنوع كامل وفي ذلة وفي استسلام كما حصل في القارة الهندية والتي فيها أكثر من ثلاثمائة وخمسين مليون مسلم ما بين باكستان وبنغلادش والهند، ثلاثمائة وخمسين مليون مسلم، فالهند فيها مائة وخمسون يحكمونهم الهندوس ولكن لا تجد فيها رائحة للجهاد في تلك الجزيرة بعد أن مكث فيها الإنجليز –أخزاهم الله– ما يقارب قرنين من الزمان، فأشعروا الناس أن الجهاد انتهى زمانه وعهده.

بل بثوا فيهم طوائف كالبهائية لا تؤمن بالجهاد جملة ولا تفصيلًا، وهكذا أثروا على معظم المسلمين في العالم الإسلامي، ونحن تأثرنا إما بالمجاورة والاختلاط أو بالغزو الفكري الإعلامي الذي ينتشر عبر موجات الهواء، فهذا من الأسباب الرئيسية، لأن الذل والخنوع هو قيد، ولو لم يكن هناك حديد كما قال الشاعر:

قـيـد الـعـبـيـد مـن الخـنـوع ولـيـس مـن بـرد الحـديـد

فالخنوع والذلة شعور معنوي يمنع الإنسان في داخله وفي باطنه، يمنعه من قتال الكفار ومن دفع الضيم.

ولذلك لما كان عنترة وهو الفارس المشهور عندما هوجم بنو عبس، قال له أبوه: كرّ يا عنترة. قال إن العبد لا يحسن الكرّ، ولكن يحسن القلاب والصر، قال: كرّ وأنت حُر.

فلما زال ذلك الحاجز المعنوي والذل، خرج واسترد بعير بني عبس من أعدائهم، رجل واحد عندما زال عنه ذلك الذل.

فالذليل لا يستطيع أن يدفع الكفار.

وقد نما الذل فينا علمنا أم لم نعلم، ولا أدل من ذلك أن نرى إخواننا في فلسطين صباح مساء يذلون ويهانون ويعتدى على مسرى رسول الله ﷺ ولا نحرك ساكنًا، فما ذلك إلا من ذل الرَّبَى دون أن نشعر به، فالذليل لا يمكن أن يدفع الكفار وقد قيل: لا يدفع الضيم الذليل، فالذليل لا يستطيع أن يرفع الضيم عن ديار المسلمين ولا عن نفسه، وإياكم وأن تذلوا أبناء المسلمين، فوالله كل راع يذل رعيته إذا حمي الوطيس يجدهم أذلاء لا خير فيهم ولا نفع.

فإياك أن تذل، فقد استرعاك الله سبحانه وتعالى على أبنائك وأهلك، فإياك أن تذلهم فإن ذللت أمهم خرج الأولاد ذليلين، وإن ذللتهم هم كانوا أشد ذلًا، لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرًا في الجهاد.

فأرجو الله سبحانه وتعالى أن يبعد عنا هذا الذل الذي أصابنا والطريق إلى ذلك ميسور إن شاء الله.

فمن أعظم الأسباب التي أصابتنا أننا نشأنا في جيل، بل نحن أبناء جيل ما عرفوا العزة والإباء الإسلامي، فالعزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

ونهانا الله سبحانه وتعالى عن أن نهين أو ندعو إلى السلم فقال سبحانه:{فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ}.

الآن وبعد أن عرفنا أحد أهم الأسباب الرئيسية التي تمنعنا عن الجهاد رغم أنه يا إخوة والله العظيم الذي لا إله إلا هو أن أمر الجهاد في هذا الزمن ومنذ أن بعث الله رسوله ﷺ وأمره بالجهاد لأنه واضح بين أوضح من الشمس في كبد السماء وقت الظهيرة ولكن كما ذكرت لكم، فلو ذهبتم إلى هذه القارة الهندية لا تستطيع أن تتحدث مع الناس في الجهاد كأنهم لا يعرفونه إلا من رحم الله، وقد شاهدنا في أفغانستان وهم على طول حدود طويلة أكثر من ألف كيلو ما أقل أهل المسلمين من تلك الديار، يأتي من هناك إلى هنا من أجل أن يطوف بالبيت العتيق وهو لا يعلم حديث الرسول ﷺ، وحديث أبي هريرة الصحيح يقول –اسمعوا إلى ما يقوله علماء السلف رضي الله عنهم–: "والله لئن أرابط ليلة في سبيل الله أحب إلي من أن أوافق ليلة القدر عند الحجر الأسود".

ليلة القدر خير من ألف شهر ولكن أجر الرباط أعظم من ذلك كله، فهم يتركون أجر الرباط لأنهم لا يعرفونه ولم يدرسوه، ويأتون إلى هنا، فالسبب الرئيسي: ذل أصابنا وينبغي أن يزول. ولكي يزول، لا تقرؤوا من كتب المحدثين إلا من رحم الله بالنسبة للجهاد وأحواله، فهم عاشوا في جو كالذي نعيشه، مضغوط على أفكارهم مهزومين روحيًا ونفسيًا إلا من رحم الله.

ولكن السبيل انتبهوا يا إخوة؛ أن ترجعوا إلى آيات الله سبحانه وتعالى وتفسيرها مما فسره صحابة رسول الله ﷺ، آيات الجهاد وأحاديث الرسول ﷺ في الجهاد وهي كثيرة ميسرة فتجدونها في كتب الصحاح وتجدونها في رياض الصالحين وزاد المعاد، بكثرة ومُراجعة، ستجدوا كم هذا البعد الذي بعدنا وانحرفنا عن الجادة القويمة السليمة.

وعندما تقرؤون ذلك ستجدون أنفسكم وتعرفون الطريق المستقيم.

أما ما يصدر هذه الأيام من كتب عن الجهاد ما عرف غالب أهلها الجهاد ولم تغبر أقدامهم ولم يرموا بسهم في سبيل الله، فيختلط الأمر عليهم فيضلوا ويُضلوا.

ولذلك اشترط شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– على أن المفتي في أمور الجهاد ينبغي أن يكون فقيهًا من أهل الدين عالمًا بأحوال الدنيا والجهاد، وتجدون هذا في مجموع الفتاوى الكبرى لابن تيمية المجلد الرابع في أخريات كتاب الجهاد تقريبًا ص 605 أو ما شابه ذلك، يشترط أن يكون المفتي في أمور الجهاد ليس فقيهًا في أمور الدين فقط، بل ينبغي أن يكون عالمًا بأمور الدين والدنيا وعالمًا بحال الجهاد.

ولذلك اشترط ذلك ابن تيمية وهو من أبرز العلماء الفقهاء الذين جاهدوا في سبيل الله وكان له دور جوهري في دحر التتر عن ديار المسلمين، هؤلاء التتر الهمج الذين هجموا على ديار المسلمين حتى وصلوا بغداد وذبحوا فيها كما يقول ابن كثير عندما استكان الناس وكأنه أصابهم ما أصابنا أو أصابنا ما أصابهم، استنجد المسلمون في بيشاور بالخلافة العباسية في بغداد فلم يأبهوا لهم —كما نفعل اليوم بإخواننا في أفغانستان— ثم مشى جيش التتر حتى وصل كابول واستنجد المسلمون من هناك بالخلافة الإسلامية فلم يرسلوا لهم رجلًا واحدًا.

وهكذا من شب على شيء شاب عليه، لم يشبوا على الجهاد ولم يعدوا له عدته فما زالوا في ذل وخنوع، وما تربوا على الجهاد تربوا على حمل الأقلام ولم يتربوا على حمل الأقلام والرماح، ورضوا بالصلح ونزلوا على ذمة الكفار وكانت مصيبة عظيمة وكارثة هائلة.

يقول ابن كثير: "فلما نزل المسلمون على صلح الكفار خان بهم الرافضي الوزير ابن العلقمي فقتلوا الخليفة وأخذوا بناته فاطمة وخديجة ومريم وهن حفيدات العباس بن عبد المطلب –رضي الله عنه– ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قتلوا القضاة وطلاب العلم وأشراف البلد وأشراف الجنود ورؤسائه، ثم مكث السيف يعمل في المسلمين أربعين يومًا فكان التتري يقتحم على المسلمين دورهم وقد فر المسلمون يقفلون على أنفسهم الأبواب كالخوالف، كالأطفال والنساء لأنهم تخلفوا ومكثوا دائمًا مع النساء والأطفال فيكسرون عليهم الدور فيصعدون فيجدونهم في الأسطح فكانوا يذبحونهم على الأسطح وكانت ميادين بغداد تسكب دمًا ولا حول ولا قوة إلا بالله، حتى أن أقل الروايات تذكر أنه قتل من المسلمين ثمانمائة ألف في بغداد.

وأما العلم الذي لم يُعمل به ففي العلم أحاديث الجهاد وفي العلم آيات الجهاد، لكنهم لم يعملوا بها فأخذوها ودفنوا بها في النهر واستخدموها حتى تعبر عليها قوافلهم أخزاهم الله.

ونفس الأحداث تقريبًا في ذلك العصر تمر بالمسلمين في الأندلس.

فاعتبروا يرحمكم الله واتعظوا بمن قبلكم قبل أن تكونوا عظة لمن بعدكم.

في بلاد الأندلس تفرق المسلمون وكثر الاختلاف، وخنعوا وذلوا حتى جاءهم فرديناند وإيزابيللا فقتلوا في المسلمين مقتلة عظيمة وأكملوها بدواوين التفتيش وقُتل من المسلمين بالملايين، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وأما كتبهم التي لم يعملوا بها، فالعلم وأهم العلم الإيمان، والإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل، فالعلم الذي لم يُعمل به رغم أهميته وضرورة أخذه، عندما لم يعملوا به، أحضروا كتب المسلمين وأحرقوا المسلمين بكتبهم في الساحات ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وسقطت الأندلس قبل خمسة قرون من اليوم وكان آخر الخلفاء الذين فيها ترك قصر الحمراء وسلّمه للكفار وخرج، ثم بعد أن سار مسافة نظر إلى الحمراء وإلى قصوره ودوره فبكى وإلى الآن تسمى هذه المنطقة بزفرة المغربي فقالت له أمه عائشة:

ابـكِ مثـل النســـاء ملكًـا مضـــاعًـا   لم تحـافـظ عـلـيـه مـثـل الـرجـال

ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وانتهى عهد الإسلام من الأندلس!

فأين الغيرة الإسلامية على دين الله؟

أزيل الإسلام من الأندلس منذ خمسة قرون، وفي هذا أكبر الحجة والدليل على من يتعلل بأعاليل وأضاليل لا تنجيه بين يدي الله سبحانه وتعالى وإنما تلبس عليه.

فيا إخوتي والله إني لكم ناصح شفيق رحيم، أخشى عليكم ما أصاب إخوانكم من قبل.

فكثير من الناس اليوم يتعلل بأمور لم نعلم من أين أتت، كانت موجودة على عهد الصحابة كل هذه الأعمال: بناء المساجد كان موجودًا وسقاية الحجاج كانت موجودة والأهل والأموال والدور وطلب العلم وحفظ القرآن ما تعلل بذلك أحد من الصحابة؛ فأن تتمالأ الأمة كلها بهذه الأعذار والله إنها لمصيبة عظيمة.

ويذكرون أن هناك أولويات قبل الجهاد.

أأنتم أشد غيرة من إخوانكم الذين سبقوكم؟

وخير القرون قرن رسول الله ﷺ، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، وما يأتي زمن إلا والذي قبله خير منه، فهم كانوا خيرًا منكم.

واسمعوا؛ خمسمائة سنة والأولويات لم تنته ولم يرجع المسلمين شبرًا واحدًا من أرض الأندلس.

فمتى تنتهي هذه الأولويات؟

أعندما نلقى الله سبحانه وتعالى عند قيام الساعة؟

أعندما يعرض المسلمون ويمرون على الصراط ويرون نارًا شديد لهبها شديدة حرارتها؟

أعند ذلك اليوم تنتهي الأولويات؟

فاتقوا الله يا إخوان، وما هذه إلا تلبيسات يلبس بها الشيطان علينا فأرجو الله أن يمن علينا بالرجوع إلى سبيله المستقيم.

وأما فلسطين حديثنا عنها قبل أن ننتقل إلى الجهاد في أفغانستان:

فقد أخذت فلسطين في نهاية القرن الخامس الهجري عام 492 هـ، جاءت حملة صليبية حاقدة على الإسلام والمسلمين وذبحوا في بيت المقدس وفي ساحاته أكثر من سبعين ألفًا حتى أن الغزاة الصليبيين أخزاهم الله كانوا يجدون مشقة في بيت المقدس من روائح القتلى ومن كثرة الدماء التي سالت، حتى أن مؤرخي الكفار أنفسهم كانوا يقولون: أنه كان جنود الجيش الصليبي يمشون في دماء المسلمين إلى أنصاف سيقانهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وهكذا لا يتخلف وعد الله ووعيده؛ عندما نترك الجهاد يصيبنا الذل الذي أخبرنا عنه ﷺ، حيث يقول ﷺ: "إذا ضن الناس بالدينار، وتبايعوا بالعينة، واتبعوا أذناب البقر، وتركوا الجهاد سلط الله عليهم ذلًا"، فهذا جزء أصيل من هذا الدين متى تركناه يتسلط علينا الذل، أو حتى نرجع إلى ديننا.

فما يقارب تسعين سنة والناس كحالنا اليوم في شغل عن الجهاد، بل حتى المدن القريبة من القدس كان لا همّ لأهلها إلا أن يزرعوا مزارعهم ويحصدوا مزارعهم. إلى أن منَّ الله على هذه الأمة وحملت راية الجهاد على يد صلاح الدين –رحمه الله– فاسترجع بيت المقدس بعد إحدى وتسعين عامًا.

فبالجهاد تُسترجع حقوق المسلمين، وبالجهاد ينصر هذا الدين، وبالجهاد فتح عمر –رضي الله عنه– مسرى رسول الله ﷺ، وبالجهاد استرجعها صلاح الدين، وبالجهاد فتحت مكة في زمنه ﷺ، وأصبح البيت العتيق تحت ظلال الدولة الإسلامية. وما ترك المسلمون الجهاد في زمن من الأزمنة إلا وأصابهم ما توعدهم الله.

والآن يا إخوة، ما واجبنا نحو دماء المسلمين في أفغانستان ونحو دماء المسلمين في فلسطين ولا سيما أننا قد علمنا كيف الرجوع إلى هذا السبيل المستقيم، سبيل الجهاد الذي بيَّنه لنا رسولنا الله ﷺ والصحابة.

وأحب أن أشير إلى أن الشُّبه التي يخرجها شياطين الإنس والجن لا تعد ولا تحصى، فإياكم والنظر إليها، فإياكم والنظر إلى هذه الشُّبه، ولكن انظروا إلى أمر الله سبحانه وتعالى: {قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ}.

نقاتلهم، لا نتلكأ ولا نتوانى، ومن استشار قاعدًا قَلّ أن يفلح ولكن اذهبوا بأنفسكم وغبروا أقدامكم في سبيل الله واحرسوا في سبيل الله وأعدوا العدة لنصرة إخوانك، فهب أنه فتح باب الجهاد في فلسطين وبإذن الواحد الأحد سيفتح، ماذا أعددت لو أخبرناك أن الجهاد فتح الآن في فلسطين؟ هل أعددت لذلك شيئًا؟

أما سمعت عتاب الله سبحانه وتعالى وذمه للمنافقين الذين لم يعدوا للجهاد عدة، حيث يقول سبحانه وتعالى: {وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُواْ مَعَ الْقَاعِدِينَ} إياكم والتشبه بصفات المنافقين فمن صفاتهم أنهم لا يعدون للجهاد عدة.

والجهاد يشمل الأمة الإسلامية بأجمعها، لا يُستثنى من ذلك إلا من عذر الله: الأعمى والأعرج والمريض وأصحاب الأعذار.

فأعدوا أنفسكم -يرحمني الله وإياكم- قبل أن يصيبنا الله بقارعة كما جاء في معنى حديث رسول الله ﷺ أنه قال ﷺ: "من لم يغزُ ولم يخلف غازيًا في أهله بخير أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة"، وفي رواية: "ولم يجهز غازيًا".

وذم الله المنافقين وسمى القعود عن الجهاد هو عين السقوط في الفتنة، وكانوا يتعذرون: شغلتنا أموالنا وأهلونا، ويقولون إن بيوتنا بعورة. ومن أعجب الأعذار عذر الجدّ بن قيس عندما رفض أن يذهب إلى غزوة تبوك فأنزل الله سبحانه وتعالى به عندما طلب الإذن بالقعود قال سبحانه: {وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ}. نرجو الله أن لا نسقط في الفتنة.

وبالنسبة لأفغانستان، حتى تعلموا أهمية الجهاد أقول لكم ما حصل في أفغانستان في الفترة الأخيرة وما يتحدث الكفار عن السلام الزائف، انتبهوا معي يا إخوة:

في الحرب العالمية الأولى؛ الألمان النازيون أتعبوا العالم ودوَّخوا الروس ودوَّخوا حلفاء الأمريكان، ثم خلال ربع قرن قامت الحرب العالمية الثانية، فلما انكسر الألمان رغم أنهم كثيرو العدد وهم من الدول الصناعية قرر الكفار أن يقسِّموا دولة الألمان إلى قسمين:شرقية وغربية، وأن تكون دولة منزوعة السلاح لا سلاح فيها.

ذكرت هذه المقدمة حتى تعلموا أهمية الجهاد وما يخطط الكفار الآن للجهاد.

فهؤلاء الشعث الغُبر، المجاهدون الضعاف، الذين أقدامهم حافية ولكن جباههم عالية، لا تخضع ولا تسجد إلا لرب العالمين، أبوا خلال هذه السنوات الطويلة أن يلينوا لهؤلاء الكفار، وقد حاول الكفار بشتى جهدهم، شرقيهم وغربيهم، أن يُخضعوا المجاهدين وأن يحتووا الجهاد، وخرجت الصحافة المشبوهة تتكلم أن الجهاد هو بين الروس والأمريكان وهذا حال من يريد أن يثبط المسلمين عن الجهاد. فأبى المجاهدون، وقد كنت معهم في

إسلام آباد في الأحداث الأخيرة عندما جاء كفار الغرب وعلى رأسهم دولة أمريكا أخزاهم الله، جاؤوا يريدون أن يضغطوا على المجاهدين حتى يوقفوا الجهاد، فاسمعوا إلى مواقف هؤلاء رحمهم الله في الدنيا والآخرة:

جاء هذا الخبيث (أرماكوست) يقول للمجاهدين: نحن اتفقنا مع الروس على أن يخرجوا وينبغي عليكم أن تعطوهم الفرصة حتى يخرجوا وأن توقفوا القتال. بعد تسع سنوات من القصف المتواصل في الليل والنهار حتى أحرقوا أفغانستان، استيقظ الضمير الأمريكي الكافر كذبًا وزورًا، وإنما عرفوا خطر الجهاد وأن المجاهدين بدؤوا يشبون عن الطوق فأرادوا إخماده، فاسمعوا إلى جوابهم –جواب قادة الجهاد جزاهم الله خيرًا– قالوا لهم:"نحن عقدنا العقد مع الله سبحانه وتعالى، واستشهدوا بقوله سبحانه وتعالى: {إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ} فقالوا له: "نحن عقدنا العقد مع الموت، ومن يعقد العقد مع الله لا يفكر لا في روسيا ولا في أمريكا، اتفقتم أو لم تتفقوا فالأمر لدينا سواء، فلا تساوون جناح بعوضة عند قدرة الله سبحانه وتعالى".

الله أكبر! فردوهم خائبين من حيث عادوا، رجعوا بخفي حنين.

وعزم المجاهدون على استمرار الجهاد، وبدؤوا يدخلون ما تبقى لديهم من أمور ومن عتاد في باكستان إلى داخل أفغانستان.

والأشد والأدهى من هذا، أن يتوسط بعض رؤساء الدول الإسلامية والعربية حتى يضغطوا على حكومة باكستان حتى تضغط على المجاهدين وتوقع على الاتفاقية وتقفل الحدود أمام الجهاد، فمن رد المجاهدين على ذلك قالوا: "إن تقفل الحدود الباكستانية وتقفل أبواب الأرض؛ فإن أبواب السماء مفتوحة".

نرجو الله أن يمنَّ الله عليهم بالنصر والثبات، آمين.

وأما السلام، فيكفيكم عبرة وعظة ما أصاب إخوانكم في فلسطين، عشرات السنين منذ أن وعينا على هذه الأرض، مندوب يذهب ومندوب يرجع، مشروع السلام والسلام الدولي، وهذا لا يجوز شرعًا انتشاره ولا ترديده بين المسلمين لأنه كلام الكفار يشيعونه بين المسلمين حتى يتخاذلوا.

اسمعوا إلى قول الشاعر الذي جرّب الأحداث هناك يقول:

سيحدثونك يا أُخيَّ عن السلام

إياك أن تُصغي إلى هذا الكلام

صدقتهم يومًا فآوتني الخيام

فلكم في ذلك عبرة يا إخوة الإسلام.

فكذب وزور، عندما رأوا أن المجاهدين سيحكمون بإذن الله دولة الإسلام، ويعيدون إلى هذه الأمة الخلافة التي أسقطها الصليبيون، بدأ الشرق والغرب يجتمعون سويًا على هذا الدين: فما ننام عنكم وأنتم غافلون؟!

عجيب أمر هؤلاء المسلمين، يخططون لكم ليل نهار حتى تستمروا في الذل والهوان ولا تستيقظون!

كأنما الواحد منا ترس في آلة من الصباح على المساء لا يدري ما يحاك حوله.

فاتقوا الله في أنفسكم، اللهم اجعلنا من المتقين.

ولعلكم سمعتم اليوم أن مندوب الأمريكان أخزاهم الله ومندوب الروس قالوا أننا سننسحب من أفغانستان سواءً وقعت الاتفاقية أو لم تُوَقع، فإياكم أن تصدقوا إلى كلامهم، إياكم ثم إياكم أن تقرؤوا الصحف فتصدقوا وتخذلوا إخوانكم، فهذا من الحرب الإعلامية.

فنحن في الداخل بفضل الله مع إخواننا المجاهدين نعلم خفايا الأمور، فما هذا الذي يصدرونه إلا مخادعة ومراوغة كما راوغوا إخواننا من قبل في بخارى بلد البخاري نرجو الله أن يردها إلى ديار المسلمين، لما وجدوا قوة الإسلام هناك وقوة الجهاد أخذوا يلعبون بالحل السلمي وقالوا لهم أنتم أحرار في منطقتكم ولكم الحكم الذاتي ونحن سنرجع وانسحبوا فعلًا، وما هي إلا فترة من الزمن حتى ألف الناس الركود والدعة وأصبحوا يصلحون أموالهم وبيوتهم وإذ يغدر بهم الكفار فيهجمون عليهم كرة واحدة وأخذت بخارى، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فما يدبر الآن لأفغانستان شيء شبيه بهذا، فأفغانستان حدودها الشمالية وولاياتها الشمالية محاذية للولايات الإسلامية الجنوبية لروسيا، لا يفصل بينهما إلا نهر جيحون، نهر واحد فقط، فأهل المناطق الشمالية في أفغانستان يتحدثون نفس اللغة التي يتحدثها أهل الأوزبك في جنوب الولايات المحتلة الإسلامية، بل كثير منهم أبناء جد واحد، فأشكالهم هي واحدة ولغتهم واحدة يتحدثون بالفارسية وبالأوزبكية، إلا أن أولئك الذين في الجمهوريات المحتلة كثير منهم ولا سيما الذين في المدن قد تشربوا الشيوعية ودخلوا في الجيش الروسي فالخدعة هي فيما يلي:

يخرج الروس الجنود الروس الحمر من وسط كابول أمام الإعلام العالمي ليخدعنا ويدخل من الجهة الأخرى –بل قد أدخل وانتهى الأمر– من هؤلاء الأوزبك الذين تشربوا الشيوعية ويدخلهم ليس في ملابس الجيش الروسي وهم من الجيش الروسي، بل يدخلهم في ملابس المليشيات الأفغانية، ويعلمونهم أن يكذبوا على الناس ويقولون للناس نحن من الولايات الشمالية أوزبك، نحن من بلخ وتخار ومن جوزجان إلى أن منّ الله على المجاهدين وأسروا منهم مجموعة، فأثناء التحقيق كان المجاهدون يظنون أنهم من الأوزبك من أهل الشمال فإذا بهم جنود في الجيش الروسي وافتضح أمرهم واتضح والحمد لله.

فإياكم أن تصدقوا أن هناك سلام، إلا أن تسمعوا من أئمة المسلمين الذين لا غبار عليهم.

فكيف السبيل إلى الجهاد بعد أن علمنا أن الجهاد كان ملازمًا للخلافة الراشدة، بل من العهد المدني إلى أن التحق الخلفاء الراشدون وتوفاهم الله سبحانه وتعالى، وقلنا أن أفضل سبيل هو الرجوع للمعين الصافي: كتاب الله وسنة رسوله ﷺ التي تتحدث عن الجهاد وكذلك فعل السلف الصالح -رحمهم الله- وذكرنا خلال ذلك سبب الذل الذي أصابنا والخنوع الذي أصاب الأمة الإسلامية.

والآن كيف السبيل لكي نعد أنفسنا للجهاد وحتى نكون بصدق وحق متبعين لمحمد بن عبد الله ﷺ؟

وأبشركم بحديث رسول الله ﷺ الذي يزيدكم عزمًا وتصميمًا على الاستمرار والمضي في طريق الجهاد، فيخبر سبحانه وتعالى أن الجهاد ماض إلى يوم القيامة، ويخبر -انتبهوا يا إخوة- ﷺ أنه من أبرز صفات الطائفة الناجية المنصورة التي يبقى أفرادها إن شاء الله إلى يوم القيامة وهم تبع لمحمد ﷺ، يخبر أن أهم صفاتهم هو الجهاد فيقول ﷺ في الحديث الصحيح في مختصر صحيح مسلم للمنذري، يقول: "لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم -انتبهتم إلى هذه الصفة- لا يضرهم من خالفهم حتى تأتي الساعة وهم على ذلك"، أو كما قال عليه الصلاة والسلام.

فهل نحن نقاتل على أمر الله قاهرين لعدونا حتى نكون من الطائفة الناجية المنصورة؟

أناشدكم بالله أن تراجعوا أنفسكم، هل هذه الصفة تنطبق علينا؟

أم ينبغي أن نسعى بالجهد الجهيد وأن نبذل في ذلك الغالي والنفيس حتى نكون ممن تنطبق عليهم هذه الصفة.

والسبيل إلى ذلك، فمن فضل الله أن هناك الآن سبيلًا ميسرًا ريثما ينفتح بإذن الله سبيل أيسر منه في هذه البلاد، بلاد الحرمين نرجو الله أن يحفظها وأهله، وأن يحفظ علينا بيته الحرام ومسجد نبيه ﷺ.

فأما السبيل الموجود الآن فهو الذهاب على باكستان ومنها إلى أفغانستان، وفي باكستان بفضل الله لا زال يوجد للمسلمين معسكرات يعدون فيها العدة التي أمر الله بها والخطاب موجه للمؤمنين: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ} أمرٌ لكم أن تعدوا العدة.

فهناك بإذن الله يتدرب المسلم ويتفقه في بعض أمور دينه في مدة ما يقارب خمسة وأربعين يومًا، فإن لم تستطع فبما استطعت: {لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا}، ولا نحاسب الناس، فالله سبحانه وتعالى الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور هو الذي يتولى ذلك وإن لنا الظاهر.

ثم بعد ذلك، وهذه المعسكرات فيها إخوانكم من المسلمين العرب المدربون والذين يقومون على شؤونها من ألفها إلى يائها، إخوانكم الذين سبقوكم لنصرة هذا الدين، فالحقوا بالركب: {لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ}، فأدركوا وكونوا من السابقين لهذا الخير العظيم.

ثم بعد ذلك تدخلون إلى داخل أفغانستان، وهناك في داخل أفغانستان معسكرات للمجاهدين عامة، وللإخوة العرب خاصة، يتهيأ فيها الأخ على جو القتال، حيث أن النقلة بعيدة جدًا من المدرسة أو من الجامعة أو الوظيفة فجأة إلى تلك المناطق، وفجأة إلى ذروة سنام الإسلام التي لرسولنا ﷺ منها أعظم الحظ والنصيب، يتهيأ فيها لمدة شهر أو شهرين، ويتدرب على الأسلحة عمليًا، ومن فضل الله جميع الأسلحة المتوفرة في المنطقة تلك موجودة عند الإخوة.

ولعلنا نذكر لكم إن شئتم بعض ما قدر الله سبحانه وتعالى للإخوة أن يصدوا أكبر هجوم على أهم ممر لإدخال المدد إلى داخل أفغانستان، فهذا طريق، وقد سمعنا قبل فترة أنه في هذه البلاد نرجو الله أن يمن علينا بالأمن والسلام وأن يحفظ هذين الحرمين ووالله أُكثر من الدعاء لخوف وقلق شديد يصيبني عليهما في الحالة التي نحن فيها وسأذكر لكم ذلك السبب.

والطريق الثاني كما سمعنا أن ولي الأمر وخادم الحرمين في هذه البلاد ذكروا أن مشروع تجنيد المسلمين في هذه البلد على وشك الموافقة عليه، فنرجو الله أن يخرج هذا المشروع ونتعلم على الجهاد في هذه الأرض ونذود عن ديار المسلمين وعن آخر معقل من معاقل الإسلام، عن مهبط الوحي والأماكن التي جاهد فيها الصحابة –رضي الله عنهم– ومن كان له جهد أو ياحبذا لو تذهبوا وتكتبوا أسماءكم، وتشعروا أولياء أمورنا باستعدادنا لأن نكون جنودًا للدفاع عن هذا الدين وللدفاع عن هذا الوطن الذي كان مسقط رأس رسول الله ﷺ وهو قبلة المسلمين، وكم ستكون مصيبة المسلمين ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فلما تركنا الجهاد تجرأ علينا أبناء القردة والخنازير، ولا يخفاكم التهديد الذي أخرجه بنو إسرائيل في الأيام الماضية وتجرأ علينا من هم من أحفاد المجوس الذين أبوا إلا أن يخلطوا بين دين الله وبين ما ورثوا من أجدادهم المجوس، هذا الرافضي الخميني الذي أصبح يتهدد يريد أن يأخذ الحرمين أخزاه الله في الدنيا والآخرة.

فيا إخوتي هيئوا أنفسكم، فمن لم يستطع أن يمكث هناك طويلًا فليكن جنديًا مطيعًا لنصرة هذا الدين ولحماية هذه البلاد.

فهذه هي الطريقين التي أرشدكم إليها وأنصحكم بها، فأسرعوا وسارعوا قبل أن يأتيكم مرض أو فقر منسٍ أو الدجال أو الساعة والساعة أدهى وأمر، وقدموا لأنفسكم بين يدي الله، حرس ليلة في سبيل الله ورمي سهم في سبيل الله.

هذا ما أردت أن أقوله لكم.

وأما عن المسجدين، عن الحرمين، فقد حدثني من أثق به عن أبي محمد بن لادن –عليه رحمه الله– وقد شرفه الله بأن يكون المقاول أو المتعهد الذي يبني المساجد الثلاثة التي تُشد إليها الرحال، فله الحمد والمنة على هذا الشرف العظيم وجزى الله خيرًا من أوكل إليه بناء هذه المساجد، فكان رحمه الله يبني ويوسع ويرمم في المسجد الأقصى، فلما رأى حال المسلمين هناك –كما يحدثني من أثق به– كان والله يتوقع بهذا المسجد الأقصى وكان يحذر الناس من ذلك وينبههم للحالة التي كان فيها المسلمون، فقد كان انتشر –ولا حول ولا قوة إلا بالله– البعد عن هذا الدين والالتزام بهذا الدين، وما هي إلا سنوات –ولا حول ولا قوة إلا بالله– أخذوه، نرجو الله أن يرجعه على أيدينا.

فحافظوا على ما تبقى بأن تعدوا العدة وتكونوا جنودًا مخلصين وكذلك إن شاء الله نذهب إلى فلسطين.

أقول هذا القول وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المؤمنين من كل ذنب فاستغفروه إنه غفور رحيم.

الحمد لله هنا بعض الأسئلة من إخوانكم نجيب عليها إن شاء الله، معظمها تدور عن كيف يستطيع المسلم الراغب في الجهاد أن يذهب إلى الجهاد.

- *يسأل الأخ: كيف يستطيع المسلم الراغب في الجهاد أن يذهب إلى أفغانستان؟*

– الأخ الراغب –بإذن الله– يمر على هيئة الإغاثة هنا أو في الرياض –من فضل الله– تيسيرًا من الأمير سلطان جزاه الله خيرًا لأمور الإغاثة والجهاد يعطى تخفيض 75% من قيمة التذكرة، فيأخذها للجنة الإغاثة ويذهب إلى إسلام آباد، وهناك في إسلام آباد في الفترة هذه الماضية يوجد أخ بصفة دائمة يستقبل أي أخ يأتي بان في سيماه أنه من أهل الجهاد يستقبله ويأخذه إلى أرض الجهاد، أي أخ يأتي على الطائرة يستقبله ويذهب به إلى بيشاور، لكن تيسيرًا، إذا وصلت إلى بيشاور الأمر سهل بأي سيارة تذهب بها وهناك تسأل عن المجاهدين، فشهرة الجهاد في بيشاور أعلى أو أكثر من أن توصف، يأخذك بإذن الله إلى مكاتب المجاهدين من فئة الإخوة الأفغان، وكذلك مكتب الهلال الأحمر السعودي، والهلال الأحمر الكويتي، ومكاتب الإخوة العرب، فالأمر ميسر جدًا فيما لم تجد أحد هناك، أي تاكسي قل له أريد الهلال أو أريد مكتب المجاهدين، تصل بكل يسر وسهولة إن شاء الله إلى الجهاد، ومن ثم يأخذونك.

- *يقول: كيف نذهب والحدود ستقفل أو أقفلت؟*

– إخواني تعلمنا في هذا الجهاد أن نؤدي الذي علينا، لا نسمع الأخبار من بعد ونجلس أو نقعد، لو أخبرتم أن الطريق مقفل اذهب إلى أن ترى الطريق مقفلًا، عندما تذهب هذه الروحة أو الغدوة في سبيل الله والتي هي خير من الدنيا وما فيها هذا أجر وفضل عظيم ثم عندما تصل إلى هناك يهديك الله سبحانه وتعالى إلى طريق تصل به إلى الداخل، كما قال سبحانه: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا}.

وكما قال سبحانه: {وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا}.

فمن فضل الله في طرق أخرى غير التي تذهب بها الدابة أو السيارة، تقول لإخوانك يوصلونك إلى الجهاد، فهذا الجهاد لرب الأرباب هو ييسر طريقه بإذن الله، أنت اعقد النية والصدق وستصل بإذن الله.

• *يقول: أغلقت بعض معسكرات التدريب؟*

– فتح غيرها من فضل الله، وهنا لو نذكر لكم: كان للإخوة أكثر من معسكر للتدريب في بيشاور، بعلم الحكومة الباكستانية، وبلغ عدد الإخوة أكثر من سبعمائة أخ، حتى تعلموا ما هو الجهاد وكيف يخاف منه الكفار، سبعمائة أخ معظمهم من عامة المسلمين ليسوا على جانب كبير من العلم، وإنما سمعوا حديث أو حديثين أو آية وذهب للجهاد ومن شتى بقاع العالم الإسلامي، من المغرب إلى الفلبين وأندونيسيا مرورًا بالدول العربية، فهؤلاء على اختلاف مشاربهم ومناطقهم، لما أصبح لهم معسكر هال الكفار ذلك وضغطوا على حكومة باكستان فجأة أن تقسم معسكر المجاهدين العرب حتى تعلموا ماذا يعني الجهاد في سبيل الله للكفار فهم يخشونه أشد الخشية ومن فضل الله فتحت معسكرات أخرى على الحدود وفي داخل أفغانستان، ليس لأحد من الكفار عليها سلطة أو ولاية والحمد لله.

• *يسأل أخونا: ويقول إذا أراد أن يذهب ويتفرغ للجهاد يريد أن يأتي بأهله؟*

– أرجو الله أن يكتب ذلك في ميزانه يوم القيامة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، لكن في فترة الشهرين القادمة ننصح بأن يبقي أهله هنا ويذهب هو حتى تتضح الأمور أكثر إن شاء الله ويرتب أمورهم قبل أن يأتي بهم إلى بيشاور.

• *يقول: هل يجوز أن أذهب إلى أرض الجهاد ووالدي غير راضيين؟*

- المشكلة عامة يا إخوان، وإن صحابة رسول الله ﷺ كان يتسابق الوالد مع ابنه، هذا الصحابي الجليل عبد الله بن حرام يوم أحد، يقول جابر -رضي الله عنه- وهو من كبار رواة الحديث يقول يا بني لا بد من أحدنا أن يبقى عند أخواتك بنات عبد الله رضي الله عنه وما كنت-اسمعوا- بالذي أؤثرك بالجهاد مع رسول الله ﷺ، فيذهب قبله.

فأقول: يا أخي تقنع أباك وتذكرهم بالذل الذي أصاب المسلمين وبهذه الروح الانهزامية، وإن كان قد سُجِّل في صحائفهم في الدنيا والآخرة أن فلسطين ومسرى رسول الله ﷺ أُخذ في عهدهم فليُكفِّروا عن ذلك وليتقربوا إلى الله سبحانه وتعالى بإرسال أبنائهم يكونوا لهم ذخرًا في الدنيا والآخرة، وعليك بقراءة قصة أم سلمة -رضي الله عنها- ففيها عبرة، فقد رقّ لها قلوب الكفار، مكثت ما يقارب حولًا كاملًا تبكي في أبطح مكة إلى أن رقت قلوب الكفار وأذنوا لها بالهجرة.

- *أرجو إيضاح شروط الجهاد.*

- شروط الجهاد الإيمان، تؤمن بالله سبحانه وتعالى هذا من أهم شروط الجهاد، وهناك تتعلم أمور الجهاد العسكرية، وصح عنه ﷺ أن جاءه رجل مقنع بالحديد قال: "يا رسول الله أقاتل أو أسلم؟ قال: بل أسلم ثم قاتل، قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، وذهب فقاتل حتى قتل، فقال ﷺ: " عمل يسيرًا وأجر كثيرًا" وهو لم يركع لله ركعة واحدة.

- *هل يجوز أن يذهب إذا كان عليه دين؟*

- يقول الرسول ﷺ: "من لم يغزُ أو يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق" حديث صحيح.

ويقول: "من لم يغزُ أو يجهز غازيًا أو يخلف غازيًا في أهله بخير أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة".

فتحبب أخيك الذي له الدين بالجهاد ويصبر عليك، وإن توفاك الله تكون في ميزان حسناته، ترضيه إن شاء الله ويذهب ويلين قلبه للجهاد والأمر ميسر فقد صح عنه ﷺ عندما كانت الأمة تجاهد أرسل إلى بني لحيان من هذيل لينبعث من كل رجلين أحدهما والأجر بينهما، إنسان يذهب والآخر يصرف على أهله وعلى أهل أخيه في الله، وهكذا العلماء.

• *أخونا يسأل سؤال —عدم المؤاخذة— يقول لمَ لا تعلن الدول الإسلامية جميعها الجهاد وترفع راية لا إله إلا الله؟*

– ما ترفع راية لا إله إلا الله إلا في البلدين —ذكرت لك— التي لم يغزهما الاستعمار: بلاد الحرمين، ويطبقون الإسلام في اليمن، وأما الاستعمار الصليبي الذي خرج من الإنجليز والفرنسيين وما شابههم من ديار الإسلام فقد خرج ووصل أمر المسلمين إلى طغاة عصاة فجرة كفرة يحكمون المسلمين بغير ما أنزل الله، ألا تنظرون حولكم، شمالكم وجنوبكم، هذه بعثية وهذه اشتراكية وهذه ماسونية وهذه شيوعية فلم يبق إلا أنتم لا يُنام عنكم وأنتم غافلون، لكن ابدؤوا نرجو الله أن يحفظ ما بقي ونسترجع ما فاتنا.

• *يقول: ما مصير الإخوة بعد نهاية الجهاد؟*

– ما ينتهي الجهاد، ماضٍ إلى يوم القيامة، فإن خرج الروس من أفغانستان —بإذن الله— تكونون قد استعددتم وأعددتم العدة لفلسطين وإن خلصنا من فلسطين فهذه بخارى وسمرقند وأكثر من خمسين مليون نسمة من الجمهوريات الإسلامية المحتلة من الاتحاد السوفيتي فستسير ويتوفاك الله ونرجو لك الشهادة قبل أن نخلص مما علينا.

• *يقول: هل يجب الجهاد العسكري على من يقوم بجهاد فكري مع قلة من يجاهد فكريًّا؟*

– الجهاد عام، والله سبحانه وتعالى افترض علينا الجهاد عام: بالسنان وبالبيان وباللسان وبكل ما يستطيع الإنسان، ما حصل تفريق يجاهد بحسب استطاعته في كل مجال إن شاء الله.

طيب يا إخوة نرجو الله سبحانه وتعالى أن يمن علينا وعليكم بالجهاد وأن نكون من المجاهدين وأن يحشرنا مع نبيه ﷺ ومع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

وصلى الله وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.